

عبر وتأملات ... في الحوادث الواقعات ، والفتن النازلات التي تمتحن بها أمة

الإسلام في كل زمان ومكان .

تعليق على أحداث مؤلمة ، وأخرى مفرحة ، فيها وبها : نبش ، وتحذير ، وتثبيت ، ونصير ...

الحلقة (٤٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

ذهبت أخلاقهم فرق دينهم .

فالأخلاق حصن الدين ، وسياجته المنيع ، وعند ضعفها - أو فقدها - يقل ويضعف الإيمان ، وقد ينعدم ، وركن الدين قد ينهدم ، وفي هذه الحلقة - وحلقات تالية بإذن الله - سوف نذكر مجموعة من الأخلاق قد ضعفت - أو انعدمت - عند كثير من الناس فرق دينهم ، وتبدلت أحوالهم ، وعندها انهالت عليهم الكوارث والأدواء والكروب ، فإلى الله المشتكى علام الغيوب ، ف: من هذه الأخلاق :

(١)

خلق الحياء ،

فمن انعدم حيائه ، ولم يستح من ربه وحالقه : صفق وجهه ، وقبح فعله ، وساءت أخلاقه ، يصنع ما يشاء بما يملكه عليه شيطانه وهواه ، لا وازع يزعه ، ولا رادع يردعه ، شهواني إباحي ، فاجر ماجن ، عاهر فاحش ، فاسق سافل ، نجس وقح ، بدئي جريء ، منحل متبدل متهتك ، ذو خلاعة ودعارة ، ديوث ؛ لا يغار على أهله ، ولا من هم تحت يده ، سطا على محارم الله وحُدوده فانتهكها ، وإلى الفواحش والمنكرات فأشاعها ، وجاهر بها ، بل واستحلها ، وإلى الشريرة فأعرض عنها ، ولم يتحاكم إليها ، بل وبدلها ، وإلى النصوص الشرعية - المخالفة لهواه - فأخفاها ، أو حرقها ، أو شكك بها ، لا يستمع إلى نصح الناصحين ، ولا إرشاد المرشدين ،

جُلَّاسُهُ وَأَقْرَانُهُ مِنْ أَمْثَالِهِ ، يُحِبُّ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيَرْكُنُ إِلَيْهِمْ ، وَيَكْرَهُ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ وَيُؤَشِّي بِهِمْ ، هُمُّهُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا ، قَدْ تَنَاسَى الآخِرَةَ وَأَهْوَاهَا ، فَهَذَا إِنْ مَاتَ عَلَى غَيْبِهِ مَاتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ ، كَجِيفِ الحَيَوَانِ ، بَلْ أَسْوَأَ .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَالْأَمْرُ فِي شَأْنِهَا أَذْهَى وَأَشَدُّ وَأَنْكَى ، فَلَمَّا خَلَعَتْ جِلْبَابَ الحَيَاءِ ، وَغِطَاءَ العِفَافِ ، وَخَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا وَسِتْرِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ ، وَزَيَّنَهَا فِي نَظْرِ الذِّئَابِ مِنَ الرِّجَالِ ، فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُمْ سِلْعَةً مُهَانَةً ؛ يُقَلِّبُونَهَا كَيْفَمَا أَرَادُوا ، وَالْعُوبَةَ يَلْعَبُونَ بِهَا مَتَى مَا شَاؤُوا ، وَزِينَةً يُزَيِّنُونَ بِهَا مَتَاجِرَهُمْ ، وَمُسْتَشْفِيَاتِهِمْ ، وَمَكَاتِبَهُمْ ، وَبِضَائِعَهُمْ ، وَقَنَوَاتِهِمْ ، وَإِعْلَانَاتِهِمْ ، فَإِذَا كَبُرَتْ سِنُّهَا رَمَوْهَا -عَبْرٌ مُكْرَمَةٌ- كَمَا تُرْمَى القُمَّامَةُ ؛ هَانَتْ -لَمَّا بَاعَتْ حَيَاءَهَا- فَأَاهَاكَ اللَّهُ ، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] .

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانُهُ" ^(١) .
- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ فِي قَرْنٍ ؛ فَإِذَا انْتَزَعَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ الآخَرُ" ^(٢) .
- وَعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا ، نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا ، نَزَعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةَ ، فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةَ ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا حَائِنًا مُحْوَنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا حَائِنًا مُحْوَنًا ، نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ ، فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا ، نَزَعَتْ مِنْهُ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ" ^(٣) .

(١) رواه الترمذي (١٩٧٤) .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٠٤/١) .

● قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَالْحَيَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالغَيْثُ يُسَمَّى حَيَاً - بِالْقَصْرِ - لِأَنَّ بِهِ حَيَاةَ الْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَالذَّوَابِّ ، وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْحَيَاءِ حَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ فَهُوَ مَيِّتٌ فِي الدُّنْيَا شَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الذُّنُوبِ وَبَيْنَ قَلَّةِ الْحَيَاءِ وَعَدَمِ الْغَيْرَةِ تَلَازُمٌ مِنَ الطَّرْفَيْنِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الْآخَرَ وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَمَنْ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ اسْتَحَى اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَحَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ لَمْ يَسْتَحَ اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ " (١) .

● وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - أَيْضًا - : " ثُمَّ تَأَمَّلْ هَذَا الْخُلُقَ الَّذِي حَصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَ ، وَهُوَ خُلُقُ الْحَيَاءِ ؛ الَّذِي هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَجْلَهَا ، وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا ، وَأَكْثَرَهَا نَفْعًا ، بَلْ هُوَ حَاصَّةُ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا اللَّحْمُ وَالِدَّمُ وَصُورُهُمَا الظَّاهِرَةُ ؛ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ " (٢) .

وَبَعْدُ :

فَيَا أَيُّهَا الْعُرَبَاءُ الْمُوَحِّدُونَ ، الْحَيَاءُ الْحَيَاءُ !!

تَشَبَّهْتُمْ بِهَذَا الْخُلُقِ الرَّفِيعِ فِي أَرْزَمَةِ الْفِتَنِ - وَفِي غَيْرِهَا - قَوْلًا وَفِعْلًا ، أَدَبًا وَتَأْدِيبًا ، فَمَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ الْهَانِنَةَ - هُوَ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ - فَلْيَسْتَحِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ ؛ لِيَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَلِيَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدْ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ (٣) .

والبقية في الحلقات التالية إن شاء الله .

(١) الداء والدواء ، ص : (٦٩-٧٠) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٧٧) .

(٣) يروى فيه حديث عند أحمد (٣٦٧١) ، لكن فيه ضعف .